نحن وتركيا

نحن الآن ننظر الى تركيا الحديثة مختلف النظرات . فبعضنا يراها قد ضلت وبعضنا يراها قد أحسنت كل الاحسان . وبعضنا له رأى وسط . وأحب الآن أن أن أحدثك عن تركيا الجديدة حديثاً معتدلا فيه متعة وفيه عبر . فان تركيا هذه لتشبه طيرا كان محبوسا فى قفص . مهيض الجناح محطما . طفق يرقب حتى اذا وافتته فرصة انقض فيها على ساجنيه وفر يعلو سراعا ونحن نرقبه يعلو ويعلو فيأخذنا عليه أشفاق مخافة انتكاس وعثرة . ولكن الحق أن تركيا هذه قد أدهشت بقفزها هذا السريع فى سبيل المدنية الحقة والرقى القويم . ونحن وأن كنا نأخذ عليها بعض حدتها فى تنفيذ كل فكرة طارئة . نعجب بها حقا ونرى أنه يجب علينا لنتبوأ المركز اللائق بمجد أمتنا أن نحتذيها فى كثير ، ومن الغريب أن كثيرين من الناكرين لعظمة تركيا المدنية ينسون أو يتناسون أن قادتها الذين يقفزون بها الى اوج الحضارة الغربية هم الذين خلقوا مجدها هذا وبعثوها امة حية بعد أن كانت عظاما نخرة لاحياة فيها . بفضل أولئك الخلفاء (ظل الله على الارض . . .) على أنى لا أشهد أن ما قام به (ويقوم) قادتها الآن من تجديد وبعث . لا يقل فخرا ومجدا عما قاموا به من قبل فى سبيل تحريرها سياسياً .

والذى يدلك على أن النهضة الحديثة فى تركيا تؤسس على أصول لاتتزعزع انها لاتعنى بالمظاهر فقط من صور الحضارة . بل ترى لها سجلا فاخرا من أعمال التجديد والعمران فى مرافق البلد الحيوية ومصالحها الضرورية . وإن الغيرة التى يبديها الغازى والمثل الاعلى والدأب الذى يدأبه ليدل على أنه صادق حقا فيما يعتزم من تحرير تركيا فى الافكار وفى كل شىء مثلما حررها هو ورجاله فى السياسة . وبهذا الاخلاص وحسن النية نعجب بالغازى كرجل تركيا الاوحد (رغم ما نأخذه عليه أحيانا) ،

وشىء من المقارنة بيننا وبين تركيا يظهرك على أنا مخلصون حقا حين نرجو أن

تحتذيها وتتبعها، ويمكنك أن تقول عنا أننا محتلون لا بالانجليز فقط : بل بتركيا أيضا .. لعلك تعجب ... ؟فاستمع أذن ..

يمكنني أن أقول — ويمكنك أن تقول معي — أن تركيا الآن — أقصد تركيا القديمة — ليست في هذا القطر الذي نعرفه بحدوده على الخارطة . بل هي في مصر هذه .. تعال وانظر إلى ما تعلم من مظاهر هذه الحياة التركية القديمة وابحث عنها الآن في (تركيا) فأنك لن تجدها . فقد اقتحمتها الحياة الجديدة . تركت مكانها . ولكنك تجدها عندنا بكل مساوئها (ومساوىء غيرها من حضارات أخرى — أن كانت هذه حضارات) أنك تجدها عندنا في التكايا (أو التنباخانة كما سماها جلالة ملك الأفغان أزال الله محنته) والفرق الصوفيه وأفواج الأغوات — على قلتهم الآن — وحجاب المرأة وتجد عندنا فضلا عن الملابس التركية كالطربوش الأفكار التركية . وتجد عندنا جلسات (الشيشة والشطرنج والطاولة) شهيدة على بقايا هذه الحياة المتأصلة في مجتمعنا . ولعلك بعد أن رأيت ذلك الاستعراض لمناظر تركيا القديمة بتكاياها وخمولها واجد منها الكثير في حياتنا المصرية ، وبعد ذلك نعيب أو يعيب بعضنا حركة التجديد والبعث التي يقوم بها أبطالها ، وأنا لنقول في حرارة مرة . أن التجديد مهما اعتوره من كبوات بل ومحن خير ألف مرة من هذا الخمود الذي نعيش فيه والذي يكاد يجعل منا (أمة أفيون) أخرى كالصين الضخمة الفارغة . ولكنا نحمد الله على هذه الحركات البطيئة عندنا . ونرجو لها كل الخير والنجح ،

أن الخطوات التي نخطوها الآن نحو عالم المدنية بطيئة جدا . لا تكاد تكفل لنا اللحاق بموكب الأمم السائر إلى الأمام بخطى الجبابرة . وأنا أذا أردنا أن نحيي مجد مصر العظيم . ونبوئها مكانها الذي يتفق مع ماضيها من ماض منقطع النظير ، يجب أن نسرع . ونسرع كثيرا فيما نراه مثمرا ومحققا لآمالنا في هذه الحياة . ويجب أولا أن نكون جريئين أحرار الفكر . نعجب بل ونحتذي أمثال تركيا ونتنفع بتجاربها بدل أن نتبرم بها ونسخط ،

أنا لنحيك تركيا الحديثة المجدة من كل قلوبنا المملوءة أملا وثقة في المستقبل ونرجو ونلح في الرجاء . ذلك اليوم الذي نرى فيه مصرنا العزيزة تسير في الطريق الذي تشرعين ، فالى الأمام يا قادة الشرق ؟

محمود علي الشرقاوي